(٥٩) أبو العباس القصَّاب[١]

ذكر الشيخ أبي العباس القصاب رحمه الله:

كان رحمه الله شيخَ العالم، محترمًا بين المشايخ، صدّيقًا في وقته، ذا مروءةٍ وفتوّةٍ، بصيرًا عارفًا بعيوب النفس.

وله في الرياضة والكرامة والفِراسة والمعرفة شأنٌ عال.

وقد سُمّي عابدَ المملكة.

نقل أنه قال: الناسُ يَطلبون الإعتاق، وأنا أطلبُ أن أكونَ رقيقًا له، لأنّ رقيقَهُ في قيده سالمٌ، والحرَّ في معرض الهلاك.

وقال: إنَّ الشيخَ مرآةٌ للتلميذ، فإذا نظرَ فيه يُشاهدُ نفسَه.

أقول: يؤيِّدُهُ ما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمنُ مرآةُ المؤمن»[٢] ولا شكَّ أنَّ الناظرَ في المرآة لا يُشاهدُ إلاّ صورته، حاصلُهُ أنّك إذا نظرتَ في شخصٍ، ووجدتَ عيبًا، فذاك إنّما هو عيبُك الذي شاهدتَ فيه. والله أعلم.

قال: القيامُ بخدمةِ فقيرٍ لله ساعةً أحبُّ من مئة ركعةٍ، وتقليلُ لقمةٍ من الطعام أحبُّ من قيام الليلِ كلِّه.

قال: كلُّ واحدٍ من الناس يحبُّ نفسَه، وإنّي أُحبُّ نفسي أن لا تكون.

وقال: وجدتُ الطاعةَ والمعصية في شيئين: إذا أكلتُ حتى شبعتُ، أجدُ

---

(١) واسمه أحمد بن محمد بن عبد الكريم، وترجمته في: كشف المحجوب ٣٧٥، أسرار التوحيد (انظر الفهرس)، نفحات الأنس ٤١٢.

(٢) رواه أبو داود (٤٩١٨) في الأدب، باب في النصيحة.

في نفسي أصلَ[١] أهل المعاصي، وإذا تركتُ الأكلَ أجدُ في نفسي أصلَ الطاعات.

وقال: علم الظاهر جوهرٌ من مئة ألف وعشرين ألف نبيٍّ[٢].

قال: لا تقل مات النبي ﷺ؛ بل إنَّما فاتَ نصيبُ عينك منه.

أقول: يؤيِّدُهُ ما رُوي عنه ﷺ: «المؤمنون لا يموتون، بل يُنقلون من دارٍ إلى دار»[٣] فإذا كان هذا حالُ المؤمن، فما ظنُّك بالنبيِّ الذي هو أشرفُ الكائنات غير الله تعالى، وقرّةُ العيون من المؤمنين والمؤمنات. والله أعلم.

وقال: إنّ لله عبادًا تركوا سلطنةَ الدنيا وزينتَها للخلقِ الذين هم أهلها، وتركوا الآخرة ونعيمها للمطيعين، وقالوا: حسبنا الله، واطمأنُّوا به، ويقولون: أما يكفينا رُقْمُ عبوديةِ الربوبية على حياةِ أرواحنا، أفنطلب شيئًا آخرَ وراء العبودية؟.

وقال: طوبى لمن عرفت نفسه إليه فعرفها.

وقال: الفتى من كان صحبته مع الله، فلا راحةَ للخلق منهم، ولا وحشة، فهم من الحقِّ ينظرون إلى الخلق.

وقال: صحبةُ الأخيار، والبقاعِ الشريفة لا تُقرّبُ أحدًا إلى الله تعالى، والقربُ من اللهِ لا يكون إلاَّ به ـ أي بإرادته وطلبه وجذبته.

وقال: لا تُصاحبنَّ إلا من تُنَوِّرُ بصحبته ظاهرَك وباطنك.

وقال: الدنيا جيفةٌ مُنتنةٌ، وأنتنُ منها قلبٌ ابتلاه الله بحبِّ الدنيا.

---

(١) في (أ): أجد نفسي أصل.

(٢) الخبر كله ليس في (ب).

(٣) لم أجده بلفظه، ولكن روى البيهقي في الزهد ٢/ ٢١٣، وابن المبارك في الزهد ١٦٧ والمزي في تهذيب الكمال ٤/ ٢٩٤ عن بلال بن سعد قال: أيُّها الناس، إنكم لم تخلقوا للفناء، وإنما خلقتم للبقاء، وإنما تنقلون من دار إلى دار كما نقلتم من الأصلاب إلى الأرحام. والقول في الحلية ٥/ ٢٨٧ منسوب لعمر بن عبد العزيز، وفي الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٢٩٧منسوب لأبي هريرة وانظر الخبر صفحة ٨٠١.

وقال: الطمعُ تركُ الفتوة، والمنعُ تركُ المروءة.

وقال: كُلَّما كان قربُ العبدِ من الربِّ أكثر، كان عجزُهُ أكثر.

وقال: اليومُ والليلةُ أربعةٌ وعشرون ساعة، في كلِّ ساعةٍ عليك من الله تعالى واردٌ.

وقال: إنْ أدخلكَ اللهُ تعالى في الأمن فنجوتَ، وإلاّ فحقٌّ لأولادِك أن يبكوا عليك.

وقال: لا يعرفُ اللهَ غيرُ الله تعالى شأنه.

وقال: طلبُ الأدبِ منكم كطلبِ الوالدة الأدبَ من الطفل الرضيع.

وقال: سجدةٌ واحدةٌ أَسجدها لله تعالى ناظرًا إلى بقائه وفنائي أحبُّ إليَّ من جميع الأشياء.

نقل أنّه جاء إليه رجلٌ، واستشار منه إلى سفر الحجِّ، قال: ألك أمٌّ؟ قال الرجل: نعم. قال الشيخ: كنْ في رضاها. فرجع، ثم جاء إليه، وقال: يا شيخ، أُريد سفر الحج. فقال الشيخ: ما طلبوك، وإلاّ لم تكنْ تَستشير. المُراد: كنتَ تُسافر بغيرِ مُشاورةٍ.

نقل أنه سئل عن الكرامات التي له، قال: لا أعرفُ الكرامات؛ لكنْ أعلمُ أنّي كنتُ قصَّابًا أذبحُ كلَّ يوم غنمةً، وأحملُ لحمَها على رأسي، وأدور في الأسواق والسكك لأبيعه، لعلّني أكسبُ فِلسًا أو فلسين، والآن أرى الناسَ يقصدونني من المشرق إلى المغرب.

رحمه الله رحمةً واسعة، ونسألُ الله تعالى أن يغفرَ لنا خطايانا يومَ الدين، ويجمعَ بيننا وجميع أحبَّتنا في دار النعيم، في جوارِ الصدّيقين والشهداء والصالحين، ونصلّي على سيِّدنا محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين أجمعين إلى يوم الدين.

* * *